



التقنية في ٥ روايات عن فلسطين

« قضية فلسطين في الرواية العربية المعاصرة » هو عنوان الرسالة التي أعدتها الأنسة رندة حيدر لنيل شهادة الكفاءة في اللغة العربية وآدابها من كلية التربية في الجامعة اللبنانية . وقد نالت الكاتبة هذه الشهادة أخيراً بدرجة جيد جداً وهي في رسالتها تقصر دراستها على خمسة نماذج من الروايات العربية المعاصرة وتتناولها في مضمونها وشكلها .
وتنشر « الآداب » هنا الفصل المتعلق بالجانب التقني من هذه الروايات - النموذج .

في فلسطين علينا ان نتلافى التورط في وهاد السطحية والابتعاد عن العنصر السياسي ، كما يجب علينا الاحاطة الشاملة بكافة ابعاد التجربة وتشابكها المعقد فنحز اخطر شروط العمل الادبي وهو الصدق الفني ، ويجب كذلك ان نصدر في معاناتنا للتجربة عن وعي عميق بجورها الانساني العام الذي ينفذ ببساطة الى ضمير العالم كله . (٢)
وهذا ما لم نشهده في النتاج الكلاسيكي ، فاذا اخذنا قصة « لاجئة » لجورج حنا او « دقت الساعة يا فلسطين » او غيرها من قصص عيسى الناعوري ، نراها قد غرقت في القالب الخطابي والمباشرة السياسية ، اما قصة يوسف السباعي « طريق العودة » فلقد اخلت بشرط الاحاطة الشاملة لابعاد التجربة ، فانت احادية الرؤية مما جعلها تسقط في وهاد السطحية .

هذا من حيث الحكم العام ، اما النظرة العميقة لعمل جورج حنا « لاجئة » ، فتجعلنا نعتبر هذا العمل نواة نظرية لقصة الفكرة حيث يفلب الموقف النظري على حركة الحياة ، وحيث تتناسى القاص خصوصية شغوصه فيخلع عليهم آراءه ومواقفه مجردا بذلك القصة من اهم صفاتها الا وهي الفنى والتنوع في العرض والاخبار، ويفضح الصراع الدائر نوعا من صراع الفكر والآراء وليس صراعا انسانيًا نابضا ، فتفقد القصة بذلك الكثير من حرارتها وتشويقها ويقبل تأثيرها في نفوس القراء .

وبوضوح محمد نجم طبيعة هذا الفن القصصي فيقول : « ذلك النوع من القصص الذي تكون السيادة فيه لفكرة من الأفكار تطفو على سطح الحوادث وتحجب البيئة والشخصيات خلفها . وكثيرا ما تكون الغاية الاولى لقصص كهذه اصلاح المجتمع ... فيسمى الكاتب الى اصطناع الشخصيات وتسخير الحوادث حتى تصور الفكرة الاخلاقية في اجلى مظاهرها . » (٣)

وتعد « لاجئة » من الامثلة الواضحة الدالة على قصور رواية الفكرة في اغناء العمل القصصي ككل وهذا السقوط الفني للرواية يتأتى من النواقص التالية :

١ - التمدد في الحادثة ضمن الرواية يؤدي الى تشتيت التأثير الناتج عنها ويضعف الترابط بين اجزاء العمل الواحد .
فالحدث الرئيسي الذي تتمحور حوله الاحداث هو اجتياح

قبل الدخول في الحديث عن الطبيعة التقنية للرواية التي تحدثت عن النكبة ، لا بد من تحديد اولي لتوعية تجربة الخلق القصصي ، فالفن الروائي فن بسيط ولكنه في الوقت نفسه من اكثر الفنون الخلاقة صعوبة ذلك ان خلق عالم ليس بالامر الهين الا لمن اوتوا المهبة .

« وهكذا يمكن القول بان الرواية عمل او درام يجري في الزمان ويقع في المكان ويستمر منهما الوان الوسط وجوه المحدد ويخرج هذا الدرام اشخاصا يصور لنا اعمالهم وحركاتهم وانفعالاتهم . ولكن هذا الدرام وهؤلاء الاشخاص لا يتخلون « كثافتهم » ولا « كينونتهم » القصصية الا بابتعاد واع عن « الواقع الحاصل » وهكذا ترضي « احتمال الوقوع والقوانين العامة للانسانية والحياة لا الحقيقة التي هي تردا للواقع . ان القصاص يعيد دون ما انقطاع صنع العالم . » (١)
والفن القصصي ، فن مرن ، وهو بجورها متنوع المظاهر الى ابعد الحدود ، متعدد الاشكال .

وتصنف الرواية التي اهتمت بالمواضيع الفلسطينية بشكل عام من بين قصة الفكرة « Roman a thèse » لانها تعتمد في بنائها للحادثة وفي تقديمها للشخصيات على الافكار والمواقف ، وهذا النوع من القصص لا يبلغ المستوى الفني المطلوب الا متى قدمت الفكرة بصورة ضمنية ، ومتى انبثقت انبثاقا طبيعيا من الدرام او من نفسية الابطل لا ان تعرض عرضا نظريا ذهنيا تجريديا .

في ضوء هذه النظرة ، نستطيع ان نقسم النتاج الروائي الذي تناول النكبة الى نتاج تقليدي كلاسيكي والى اخر متطور محدث . وينضوي تحت القسم الاول ، ذلك النوع من القصص الذي لم يتيسر لكاتبه فرصة الاطلاع على تيارات الرواية الغربية الحديثة والتمرس بفنونها المستحدثة ، بينما زواج كتاب النوع الثاني بين المباشرة لواقع النكبة وبين تقنيات الرواية الحديثة في الغرب ، فأتى عملهم ثمرة صراع على مستوى وجودي في معاناتهم لواقع القضية المصرية ، وفكري في احتكاكهم بالغرب على المستويين الفكري الحضاري ومن خلال الصراع الاستعماري التسلطي الذي حاول من خلالها السيطرة على هذه البقعة من العالم .

١ - تقنية القصة الكلاسيكية

« اذا شئنا ان نقدم ادبا انسانيا شاملا يصبر عن ماساتنا الخاصة

(٢) فالي شكري : ادب المقاومة ص ١٣ .

(٣) محمد نجم : فن القصة . ص ٢٣ .

(١) فيزيولوجية القصة : نللي كورمو - الآداب العدد ١/١٩٥٤ .

اليهود لفلسطين وطردهم السكان العرب منها وعرض صور المناسبة
خلال فتاة فلسطينية هي « سامية » . يحاول الكاتب من خلالها ان
يصف صور العذاب والاقتلاع والتشريد التي عانى منها الفلسطينيون
وما يزالون ، ولكن ما يقلل من القيمة الفنية لتلك الصور الوصفية
هو ذلك السرد التاريخي لوقائع مؤتمرات هيئة الامم المتحدة والدخول
في تفاصيل اجتماعات الزعماء والقادة العرب ، هذه الصفحات الطوال
الخالية من عنصر التشويق ومن الترابط الكافي مع بقية اجزاء القصة
يضعف من عنصر الوحدة القصوية في البناء القصصي الذي يعد عاملا
اساسيا في اي خلق فني « ففي الخلق القصوي تمحيي ثنائية الشكل
والمضمون ويصعب التمييز بينهما حتى على سبيل التجريد ، فعياة
واحدة تشيع في اجزائه جميعا وكل جزء يعتمد على الاجزاء الاخرى
وعلى الكل . » (٤)

ويستطيع القاص الاستعانة بمسئندات تاريخية في روايته اذا
كان لهذه تأثير في سياق الرواية وفي شخصياتها كما فعل نجيب
محمود في ثلاثيته حين اورد النص الحرفي للتوكيل الذي وقعته
الشعب للقيادة الوطنية الجديدة وهذا النص يكاد يكون النص التاريخي
الوحيد لاحدى وثائق ثورة مصر القومية .

ولكن عدم تفرس جورج حنا (وهو الطبيب) بفنون الرواية
اضعف من قيمة هذه الاحداث فجاءت زبادات ونوافل لا طائل تحتها .

الى جانب الحدث الرئيسي الذي تحدثنا عنه تندرج احداث
اخرى فرعية : نهى فتاة المخيم التي يلقيها حظها العائر في طريق
ذئب يفتريها ، فلا تجد من حل لمأزفها سوى الانتحار . اهالي
« زبفرون » الذين احتضنوا سامية ورعواها وما يطرأ على حياتهم من
تغير وتبدل بتقدم الزمن وتقلب الاحوال ، بالاضافة الى بعض الاحداث
الجانبية الاخرى ، هذا التعدد في الحادثة يجعل « لاجئة » من
الروايات ذات الحبكة المفككة « وهي التي تبنى على سلسلة من
الحوادث او المواقف المنفصلة التي تكاد لا ترتبط برباط ، ووحدة
العمل الروائي فيها لا تعتمد على تسلسل الحوادث ولكن على البيئة
التي تتحرك فيها القصة او على الشخصية الاولى او الفكرة الشاملة
التي تنظم الاحداث اخيرا » (٥) والعامل الذي يجمع الاحداث في
« لاجئة » هو عامل الفكرة .

٢ - هذا التشكك في بيئة الحادثة ووقت وقوعها ، اضعف
مفهومي الزمان والمكان بحيث ان الانتقال السريع من مشهد الى اخر
لم يوفر لهما معطيات الاستمرار والتنامي مع الشخصيات ، والتصاعد
مع الاحداث .

٣ - كانت شخصيات الرواية في معظمها ادوات استخدمها
الكاتب للتعبير عن مجمل ارائه « والفن القصصي الصحيح يقتضي
المؤلف ان يصحى امام مخلوقاته ، ان ينسى نفسه وان يدع لهم تلقائيتهم ،
فعلاقة المؤلف مع اشخاص روايته هي علاقة « الابوة القلقة » فهو
ابدا حاضر غائب في قصته . » (٦)

وهذا ما لم يستطع الكاتب تحقيقه ، فانت الشخصية الاولى
« سامية » صورة لما يتطلع اليه الكاتب في الشخص الفلسطيني وما
ينتظره منه من موافق ازاء كل هذه التحديات .

هذا التحكم المباشر بمصائر الابطال افقد (الرواية) ميزتها
الحياتية الرئيسية وحيويتها ، وحد بالتالي من تأثيرها وفعاليتها .
٤ - اما سياق (الرواية) فلقد اتى سرديا استطراديا مفتقرا في
معظم اجزائه الى عنصر التشويق والانارة ، ناهيك بان استقلال كل

(٤) خليل حاوي : محاضرات في النقد الادبي - كلية التربية
الجامعة اللبنانية .

(٥) محمد نجم : المرجع السابق ص ٦٩ .

(٦) فيزيولوجية القصة : مجلة الادب العدد ١/١٩٥٤ .

حادثة بذاتها قد اضعف من تنامي القصة وجعلها تفتقر الى النزوة او
تلك اللحظة الحرجة التي تحبس الانفاس ، واسهمت النتيجة التقريرية
التي انتهت اليها هذه (الرواية) بالرغم من ثورتها - في معو كل
التوقعات القلقة من نفس القارئ وبذلك خالفت موضوعة رئيسية في
البناء (الروائي) هي عنصر التوقع والانتظار الذي من خلاله يتوحد
مصير البطل والقارئ في نوع من الوحدة والتواصل العميق .

٥ - اما فيما يختص بالاسلوب او ذلك الجسر الذي يضطلع
بايصال معاني الكاتب الى اذهان القراء ، فله اهمية قصوى في كل
عمل روائي ، والاسلوب التعبيري لا ينفصل عن المعنى بوجه من الوجوه ،
وهو يحتاج الى كثير من المرن والدربة والصور البيانية المشرقة التي
تجمع بين الفائدة القصصية والروعة البيانية .

مع حنا اقتصر الاسلوب على الصيغة السردية الاخبارية ، فكان
شديد الاخلاص للواقع ، ولم تستطع لفنه ان ترتفع الى المستوى
الادائي الخلاق حيث تتساق الصور الشعرية والحقيقة الاجتماعية
في انسجام تام . فرواية « لاجئة » لا تشكل في هذا المجال سوى اللبنة
الاولى في بناء (الرواية) العربية الملتزمة ففصية فلسطين حيث كانت
الوسائل الفنية ما تزال غير ظاهرة وبدائية ، مما اورث الرواية
قصورا ادائيا فاضحا ، حصر قيمتها بالناحية التاريخية دون اي تفرد
في عملية الخلق الفني .

اما عمل يوسف السباعي « طريق العودة » فيمكن اعتباره
اسهاما في الميدان الروائي الذي تناول القضية الفلسطينية :

١ - اراد الكاتب ان يجعل من قضية فلسطين والحرب الاولى
التي خاضتها مصر ضد اسرائيل سنة ١٩٤٨ مضمونا لروايتها والمغزى
الرئيسي لها ، ولكن الكاتب فشل في المزوجة او التوفيق بين مضمون
الرواية من جهة وبين بنائها الدرامي من جهة ثانية ، فلا يبدو مضمون
القصة انبثاقا طبيعيا نستنتج من مواقف الابطال والشخصيات ،
وانما يأتي عاملا اضافيا يحاول تغيير اشكال الوجود السابقة دونما
تبرير فني كاف .

لقد حاول السباعي ان يوحد بين الفكرة في القصة والحادثة
الرئيسية التي من خلالها تتحدد مصائر الابطال الرئيسيين في الرواية
فجعل ابراهيم يستشهد في المعركة التي يخوضها ضد قوى العدوان
الاسرائيلية ويجرح مراد جروحا خطيرة ، ولكن الافتعال في الحادثة
وفي تواتر الاشياء ، افقد هذا كله حرارة الحياة وصدقها وجعلها
قليلة التأثير في نفوس القراء .

فما تفتقد « طريق العودة » هو ذلك الكشف العميق لابعاد
المساة التي تعالجها وهو كشف لا يقف عند ظواهر الاشياء بل يتخطاها
الى الجوهر ، فلقد اخفق السباعي عندما اراد ان يتمثل عناصر
المساة الفلسطينية تمثلا فنيا ، ربما كان ذلك يرجع لضحالة تجربته
ومعاناته لها في هذا المضمار .

٢ - استخدم السباعي جميع وسائل التعبير الروائي من المونولوج
الداخلي الذي يطالنا منذ بداية الرواية ، الى السرد المباشر ، الى
مشاهد وصف المارك التي استطاع ان يحقق من خلالها نوعا من
النجاح الفني حين جعلها كتلة لتتهب بنيران المارك وتنهج بدماء
الغداء فاستطاع ان يرتقي بالصورة الوصفية الى التعبير القصصي
الناجح .

٣ - اما ايقاع القصة فلقد اتخذ نمطين اثنين : ايقاع بطيء فيه
الكثير من النطويل والتوقف عند الجزئيات لا سيما في تلك المواقف
ال عاطفية التي جمعت ابراهيم وزوجة مراد ، ايقاع عنيف مدو في
لحظات المواجهة والقتال ، ولقد ساعد حسن استخدام الايقاع على
اضفاء طابع التشويق عليها ، وابت الخاتمة بما هو خارج توقع
القارئ وقد تعاكس رغبته ، فلقد مات ابراهيم الانسان الطيب وبقي
مراد نموذج الانسان الاناني الحيواني على قيد الحياة .

٤ - اتخذ تحليل الشخصيات الشكل المسطح ، بمعنى انه صور ملامح الأبطال الخارجية والمادية وتسمى بعض ملامحهم النفسية ، ولكن دونما تعميق لهذه النواحي ، فهناك مظاهر اضافها الكاتب على شخصياته دونما تحليل كبير : احتقار مراد لزوجته ، وتمدد الاساءة اليها امام الناس بالرغم من كل صفات البراءة والطهارة والرفقة التي اسبغها عليها الكاتب .

٥ - تمعد الافتعال في بعض الحوادث افقد الرواية رونقها كالحادث الذي ادى الى انكسار ساق زوجة مراد وبقاء ابراهيم بالقرب منها ، والتصنع في جعل مراد يبيت في غرفة بينسيون بدلا من احضان احدى الصديقات مما يجعله يعلم بحصول غيره على اوسمة شرف لمركبة خاصه فمارها هو وحصد غيره النصر اوسمة وافتخارا . والحقيقة ان قصة الحب التي نشأت بين ابراهيم وزوجة مراد لا اهمية لها الا في اصفاء المزيد من المساوية التراجيدية على موت ابراهيم .

٦ - استخدام الرمز في صورة القبة العسكرية التي تمثل النضال المسلح والتي تهديها نهى لابراهيم قبيل ذهابه الى المعركة واحتفاظها بها بعد موته ، اتي خاليا من الأيحاء الفني والإبداع الجمالي .

٧ - ما نحفظه للكاتب هو تلك السلاسة والطبيعة في الاسلوب دون التخلف من عنصر التشويق والاثارة في مجمل مراحل القصة . ومهما يكن من امر فان « طريق العودة » تشكل مرحلة من مراحل العمل الروائي الملتزم الذي لم تتبلور بعد اشكال التزامه في قوالب فنية متماسكة .

٢ - تقنية الرواية المتطورة التي تناولت قضية فلسطين

نقصد بالرواية المتطورة تلك التي تائر كتابها بالتكنيك الغربي للرواية ، فاتوا بالجديد في كتاباتهم ان من حيث الرؤية الروائية او من حيث التقنية التعبيرية .

ويمكننا ان نقسم من حيث الرؤية الفنية مجموعة الروائيين الذين تناولوا الهزيمة بالتعبير الفني الى تيارين رئيسيين :

اولهما وصلت به التجربة الى تخوم اليأس من قدرة الانسان العربي على الرفض والتخلفي ، وذلك نتيجة تكوين طبقي بالغ القلق والترجع والذبذبة ، هؤلاء الذين عكسوا ارتطام التغيير الاجتماعي بواقع من طبيعة تخالف حلمهم مما ادى الى تكوصهم ويأسهم ، وتكس روايات حليم بركات وجبرا ابراهيم جبرا هذا الاتجاه الى حد بعيد .

اما التيار الثاني فقد استطاع عبر تجربته الكلية للمشكلة ان يصل الى حدود الامل المطلق وذلك نتيجة لرؤية نافذة شاملة وتكوين طبقي مرتبط بالاتجاه القومي ، مما ادى الى بروز فن روائي حاول تمثل الواقع الثوري الى ابعاد حدوده فانت تجربته رائدة في هذا المجال ويمثل نتاج غسان كنفاني هذا الاتجاه اروع تمثيل .

١) تقنية حليم بركات :

يعكس نتاج بركات القصصي محاولة استيعاب الواقع العربي وتجاوزه في سبيل تغييره من منظور ومفاهيم ثقافية غربية ومبادئ مخالفة للواقع العربي ولعطيائه المختلفة ، مما يساعد على تعميق الهوية ما بين الكاتب من جهة وما بين الواقع من جهة ثانية ، فانت الكتابة نوعا من الاسقاط الفني والتعويض ، ففي « ستة ايام » يقوم الكاتب بعملية تشرح عميقة لطبقات التعفن والدجل التي ما زال يفرق فيها كثير من النفوس العربية ، وعكست « عودة الطائر الى البحر » ذلك الحس التوتري العميق بالفاجعة التي قوضت معالم الحياة والنفس العربية على حد سواء ، فبات العربي انسانا فقد هويته ومعالم ذاته ، وراح يتخبط في مناهات الخيبة والضياع .

يعاول حليم بركات في روايته الاولى « ستة ايام » كتابة وثيقة اجتماعية تنطلق من معاناة بطله سهيل للصراع الذي تخوضه مدينته « دير البحر » والذي ينتهي في ستة ايام ، بهزيمة ساحقة بسبب تدخل حالتين : الخيانة الداخلية والعربية ، وعدم القدرة على التحديث والتنظيم ، حول هاتين الحالتين نعايش « سهيل » وهمومه وقضاياه . فهو يحب مدينته ويحب شعبه ، ويحاول المستحيل في سبيل الثورة ، فتتحول ثورته الى مجرد ثورة شخصية فردية ، وينتهي في النقطة التي انتهت فيها مدينته ، اي في الهزيمة الشاملة والدمار الكامل . (٧)

ولتمتاز رؤية بركات القصصية بذلك التوتر الذي يضمك في قمة صراع البطل منذ البداية ، وهذا يرجع الى اختيار الكاتب للحظة الزمنية المشحونة باكبر قدر من التحديات والكثافة بكل المضامين الصراعية للحياة . فسهيل في « ستة ايام » : « لا يقدر ان يامل او يياس ، لا يقدر ان يفجر او يستقر ، انه في تمزق ابدى » .

اما رمزي صفدي فتتبلور معالم صراعه عبر الحوار التالي :

- انت مسلم .
- لا انا رافض ومرفوض ، لست مؤمنا ولكني لست ملحدنا .
- انت شيوعي .
- لا ولكني لست رأسماليا .
- انت يميني .
- لا
- انت يساري .
- لا
- ماذا انت اذن ؟

- لست جزءا من اي شيء ، والذي امره عن نفسي انسي رافض ومرفوض .

بهذه النفس الممزقة الضائعة يواجه كل من سهيل ورمزي صفدي تحدي الموت والدمار ، ويخوضان الحرب ويفرقان في مرارة التخلف والرفوضى القائدة نحو الهزيمة .

ومن خلال هذه الزاوية الممزقة القلقة يبدأ بركات روايته ، وتتشابك الاحداث لتزيد في هذا الحس التوتري بالفاجعة ، فكانما قد جندت كل العناصر القصصية لتكشف تلك الرؤية الفنية المتصددة الابعاد لصراع الانسان العربي المثقف ذي الانتماء البرجوازي الصغير الشديد التذبذب والصراع .

وتتوزع السمات الفنية لعمل بركات حول المحاور التالية :

١ - يعطي بركات مفهوم الزمان دلالات متعددة ، فهو من جهة يضمه احساسه بجذب الفترة الحضارية التي تمر بها الامة العربية ، ويرمز الى جمود المفاهيم التي تسيير الحياة ورجعيتها بالساعة التي توقف عقرباها من السير فكانما « دير البحر » بلدة منسية في زوايا الجهل والتاخر والظلام .

هذا من حيث المفهوم الرمزي اما من الناحية الفنية فهو يكثف الزمان الى ابعاد طاقاته « ستة ايام » محورها الايام الستة فقط التي هدد فيها العدو « دير البحر » وكذلك في « عودة الطائر الى البحر » فالفترة الزمنية للقصة لا تتجاوز الايام الستة للحرب وما تمها ، ويحددها الكاتب من (٥ الى ١٠ حزيران) ، هذا التعميق للفترة الزمنية يجعل المادة الروائية مكثفة خالية من الحواشي والديول .

ويعود حسن استخدام الزمن في روايات بركات الى التقاطه لتلك اللحظة الحرجة من حياة الأبطال حيث يواجه كل منهم اكبر قدر من التحديات في حياته .

٢ - مع بركات يظهر الرمز القصصي الذي يرتفع بالقصة من مستوى الواقع المادي الى مستوى الايحاء الشعري الخلاق ويخلق هذه العلاقة المتناغمة بين الواقع والحلم ، وكلما كان حس الواقع ممتعاً نابضاً محدثاً منح الرمز ابعاداً جديدة .

يطالعنا الرمز عبر الصور الشعرية في تشبيهه « دبر البحر » بسفينة كنعان : « سفينة في أرض كنعان تمخر البحر لأول مرة متحدياً الموت » .

ويستقي الدفق الشعري في لغة بركات اصوله ومنابعه من الدفق الشعوري ، ولحظات الانفعال القصوى ، كصور النابضة الشديدة الاتصال بالواقع (ما رسمه من صور استشهاد فؤاد ورفاهه المجاهدين - مشهد ذبج والدة ليليان) وتلك التي تمتزج فيها رؤى الواقع بحساس شعري مرهف (مقاطع لقاء سهيل وناهدة) .

٣ - الحدث في الرواية هو من نوع الحدث الفذ ، الذي يضع الشخصيات جميعها في تفاعل وصراع مستمر ، وما يميز قصص بركات بشكل خاص هذا السياق القصصي حيث لا نلمح اثر للعرض او التقديم للقصة وانما تبتدىء الرواية والحدث في ذروته وتتعاقب الفصول والشاهد حتى تأتي اللحظة العرجة ، اما الخاتمة فتكون موجزة مكثفة مبعرة . فتنركز بذلك خاصية مهمة من خاصيات العمل القصصي عند بركات الا وهي الوحدة العضوية في الاثر الفني التي تجعل منه وحدة كاملة تترابط اجزاؤها ترابطاً وثيقاً بحيث لا يمكن استبدال موقف بموقف اخر ، او نزع شيء من مكانه دونما تأثير على العمل الفني كله .

ولهذا نرى الاحداث والاشخاص وفعالهم ، تتكاثف كلها منذ البداية بشكل تصاعدي ، لتخدم البناء القصصي العام دونما زيادات وهوامش .

وينطبق رأي محمد نجم في وحدة القصة على « ستة ايام » حيث نرى « قصته بنيت على عمل قصصي واحد يتطور حتى يبلغ النهاية المرسومة والاحداث التي ينتظمها هذا العمل هي حلقات من سلسلة واحدة ، ترتبط برابط السببية ولا نجد في القصة حادنا دخيلاً لا يؤدي عملاً مهما في تطورها . » (٨)

فوحدة الحدث وتمركز الصراع حول بؤرة واحدة ادى الى خلق ما يسمى بوحدة التأثير التي اعطت القصة قيمتها الفنية الحقيقية .

٤ - استخدم بركات الاسطورة في روايته « عودة الطائر الى البحر » اسطورة فلسطين العروس التي اختطفها الضبع (الصهيونية) وعندما حبل الفلسطيني بتدقيته في ١٩٤٨ ليسترجع عروسه اطلق النار ولم يصب الضبع . تاه على وجهه مضرباً تاركاً عروسه في المفارة . نسلق شجرة الدول العربية مرة ثانية يهاجم الضبع لا بد له من انقاذ العروس . انها عروسه شرعاً وحجاً . هل يصبغ مرة ثانية ويهيم على وجهه » .

كما زاوج الكاتب بين واقع بلاده وبين اسطورة الهولندي الطائر الذي اقسم على الابحار حول جبل تحيط به العواصف منفيًا عن بلاده ، ولن تحل عنه اللعنة الا عندما يجد المرأة التي تخلص له حتى الموت ، كذلك بلاده « تحر منذ زمن بعيد بلا هدف فوق بحار الخوف والرعب والجهل ويستحيل عليها الوصول الى شاطئها . »

وتنتهي الرواية نهاية عشية ويتساؤل حول مفزى الوجود: « يشمر ان التاريخ عاصفة . حتى الان اختار السلامة والاحتماء والانزوال والتغلف . يجب ان يتعرض ويقتحم يريد ان يكون له ظل . » (٩)

ربط بركات رؤية الحرب في ايامها السبعة برؤية عملية الخلق الالهي في التوراة ، ولكن ما خلقه العربي لم يكن خلقاً بل كان

اجهاضاً جديداً لارادة الشمب وخنفاً لاماله : « وراى العربي كل ما فعله فاذا هو سيء جدا . » (١٠)

قام بركات بدمج كل هذه المعطيات الفكرية الفنية في قالب من اللغة الشعرية الموحية التي تعتمد ديناميكية العبارة وتكثيفها ، ومن هنا تتبع اهمية قصر العبارات في اتيان المعنى وفي تفجير المضمون الثوري لكتابات .

وتلخص الاسطر التالية الموقع الذي يحتله فن بركات الروائي : « هو تعبير مباشر عن المثقف المستغرب المستلب الذي ينتقد الواقع العربي من مواقع هامشية يحتلها ضمن اطار . عالم روايته هو عالم البحث عن الخلاص الفردي في سياق خلاص الوطن كمفهوم ، فخلاصه ليس انفتاحاً على الجماهير انه خلاص يدور حول الانا المثقفة التي لا تعرف شيئاً عن بلادها ، وهو محاولة مباشرة لاسقاط الايديولوجية الغربية في الواقع العربي مع رفض عنيف للاستعمار الغربي . » (١١)

ب) تقنية جيرو ابراهيم جيرو : تمثل قصص جيرو ابراهيم جيرو نموذجاً متقدماً من الكتابة الفنية الواعية لموضوع فلسطين ، فلمنج في روايته « صيادون في شارع ضيق » التقنية الجديدة في التعبير التي تستخدم صور التدايعات النفسية لترتبط الحياة المادية للبطل وما حملته من مآسي النزوح والتشرد ومقتل الحبيبة تحت انقاض منزلهم الذي نسفته القوى الصهيونية الارهابية وما بين احداث حياته الحاضرة التي تدور في بغداد حيث يشغل منصب استاذ جامعي ويمر بالعديد من التجارب المختلفة التي تغير في حياته وتطبعها بطابعه الخاص .

وبراعة الكاتب في قصته هذه تأتي عبر الكشف عن الازواجية العميقة التي تعيشها شخصيات الرواية وربطها بالواقع العربي الذي يعيش تجربة الازواج والتناقض في محاولة لفضح هذه الميوسب والعمل على تغييرها ولكنه في الحقيقة لا يخرج من هذا كله الا بخلص فردي .

فيطل قصة « صيادون في شارع ضيق » ينتهي بانتظار سلافة للزواج منها وهو يقارن بينه وبين بقية شخصيات الرواية فيقول : « خلال الاشهر الطويلة التي تلت وبينما كنا ننتظر وبينما كان امثال عدنان وحسين وتوفيق يقذفون بانفسهم على صفوف من السيوف السياسية والاجتماعية ، كانت الحدات والفرقان تطير اسراباً ناعقة فوق غياض النخيل التي تمر ارضاً تتجدد ببطء يوماً بعد يوم . » (١٢) الى جانب التدايعات النفسية يستخدم الكاتب تيار الوعي ، حيث يظهر الحوار الداخلي بين الانا العليا وتيار اللاوعي ويظهر تمزق النفس وضياعا ، وهذا الاتجاه في استخدام تيار الوعي للمزيد من التحليل للشخصيات سوف نشهده مطولاً مع كنفاني خصوصاً في روايته « ما تبقى لكم » .

اما رواية الكاتب الثانية « السفينة » ، فانها محاولة اخرى لاستنطاق الحياة والواقع عبر شريحة من الشخصيات تمثل الطبقة المثقفة العليا من المجتمع محاولاً عبر صور التفاعل المتعددة فيما بينها نقصي تناقضات الواقع واشكاله المختلفة ، والرواية في هذا المجال هي من نوع الروايات التحليلية التي يحتل العنصر البسيكولوجي المكان المفضل فيها وهي لا تخضع للزمن القابل للتعدد ، فان قانونها الاوحد هو الزمن الداخلي الذي يتقلص او يتمدد دونما تأثر كبير بسير الاحداث ، من هنا كان اختيار الكاتب للسفينة كبيئة ملائمة يتعمق فيها الزمن العادي ، والملاطات العادية وتجمع ما بين افرادها علاقات جديدة قائمة على الذكريات وعلى تفاعل خاص نتيجة الظروف

- التنتمة على الصفحة ٥٤ -

(١٠) ص : ١٤٧ .

(١١) الياس الخوري : البحث عن افق - ص ٦٨ .

(١٢) ص : ٢٦٢ .

(٨) محمد نجم : فن القصة - ص ٢٢ .

(٩) ص : ١٦٢ .

التقنية في روايات عن فلسطين

— تابع المنشور على الصفحة ١٣ —

المحيطة التي وضعتهم وجها لوجه بعضا امام بعض .

والرواية مليئة بالرموز ، فموت الدكتور فالح يعلن انهيار الرؤية المغيرة للعالم وسقوطها امام نقص الواقع وتداعيه ، والدود هو رمز العالم ... الدود يمتد في كل شيء في كل ذرة من الوجود الذي يحيها ابطال الرواية . (١٢) كل ذلك ياتي في قالب من اللغة الشعرية التي طبعت كتابات جبرا منذ اساسها ، فعلينا الانسى في هذا المجال ان الكاتب حاول قرض الشعر قبل التبرس بالكتابة القصصية النثرية ، هذا مما غلف اسلوبه بذلك الطابع الشعري الرومانسي الذي اضفى على القصة الكثير من الشفافية والصفاء .

وتقسيم الكاتب روايته الى فصول تدور حول تداعيات عصام السلطان ووديع عساف واميليا فرنزي ، تبين نائر البناء الدرامي لدى جبرا باسلوب الكاتب الاميركي وليم فوكنر . (١٤) حيث تختلط صور التداعيات النفسية بصوت المونولوج الداخلي لتعكس غنى النفس الانسانية وتوترها وصراعها .

وفي النهاية نستطيع القول ان روايات بركات وجبرا ابراهيم جبرا استطاعت ان تجسد معاناة الفرد المثقف بثقافة اوروبية للكعبة التي ترزح تحت وطائها الامة ، غادى هذا التفاعل والاحتكاك الى خلق نماذج روائية محدثة كانت حصيلة المعاشية الصراعية للواقع والرؤية الفنية لعالم يتخطى الواقع ويرسمه في اطار حلم قصصي متشابك العناصر والرؤى .

ج - الواقع الثوري وتقنية القصة لدى غسان كنفاني

قد يكون نتاج غسان كنفاني الروائي هو الاجابة عن التساؤل الذي طرحناه في بداية بحثنا ، وهو الى اي حد استطاعت النكبة وابعاد القضية شحن القصة بطاقة تعبيرية جديدة ؟ ذلك ان الفن مع كنفاني عاش الالتحام الصميمي ما بين التعبير الادائي وما بين الواقع الثوري ، مما نتج عنه التزام حميم ما بين الشكل الفني والرؤية السياسية النضالية العميقة بالممارسة الثورية .

من هنا نستطيع ان نفهم كيف يمكن لنكسة كنيسة حزيران ولحدث على الصعيد السياسي للقضية (ظهور طلائع المقاومة الفلسطينية المسلحة مع بداية عام ١٩٦٥) ، ان يكونا عاملي تثير وتحويل في الرؤية الفنية والتكنيك التعبيري والبناء الدرامي . وبذلك نستطيع ان نقسم نتاج كنفاني الى مرحلتين : مرحلة سبقت حرب حزيران وتميزت بالحزن واليأس واستصراخ الهمم بحيث كان الرمز فيها تارة يائسا وطورا متمردا مؤذنا بثورة مرتقبة ويتجلى هذا في « رجال في الشمس » و« ما تبقى لكم » .

اما فترة ما بعد حزيران فهي مرحلة غياب للرمز ، ليحل محله تصوير مباشر وقوي عن الواقع الثوري المعيشي وظهور ما نستطيع تسميته بفن الواقعية الثورية وذلك في كل من « ام سعد » و« عائد الى حيفا » .

ولكن هذا الفصل ليس جديرا بمعنى ان نتاجه الادبي شهد ارتدادات بعد الحرب نحو الرمز والغموض والتعقيد ، كما في اثاره غير المكتملة « العاشق » و« الاعمى » و« الاطرش » يعقبها

(١٣) الياس الخوري : ص ٧١ .

(١٤) وليم فوكنر : كاتب اميركي ولد في اميركا الجنوبية عام ١٩٠٧ كتب العديد من الكتابات من اهمها رواية « الصخب والعنف » (The sound and the Fury) نال جائزة نوبل للادب عام ١٩٥٠ — كتاباته متأثرة بنظريات اللاوعي والنياد السريالي كما نائر بالروايات القائمة على استشارة الذكرى والتداعي مثل رواية « البحث عن الوقت الضائع » لمارسيل بروست .

رجوع الى فن الواقعية الثورية بصفائها وشفافيتها وبساطتها ، كما شهدنا ذلك فيما وصلنا من اثره « برفوق نيسان » .

هذه الاعمال الروائية غير المكتملة هي الدليل الاكبر على ان الخلق المبدع ينتظر الفعل المخلص حيث تحقق التجربة الحياتية والفنية امكاناتها القصوى في ميادين الابداع على الصعيد الذاتي والفني . يتميز العمل القصصي لغسان كنفاني في « رجال في الشمس » بالميزات التالية :

١ - عمل الكاتب على تعميق الحدث الروائي عبر نماذج بشرية معينة حيث تتداخل صور تداعيات الحياة الماضية مع مشاهد المواقف الحاضرة في مونولوج داخلي معذب يزيد من غربة كل من الشخصيات الرئيسية الثلاثة واقتلاعها ، وهي تمثل مجموع الشعب الفلسطيني المشرذ .

٢ - يتميز البناء الدرامي للرواية بالشابك فهو عمل معقد الابعاد يعتمد فيه القاص على نوع من الرمزية يمكن تسميته برمزية الحادثة ، فكنفاني لا يعرض للحادثة الاصلية وهي نكبة اللجوء والتشرد التي كانت سبب عذاب الفلسطينيين الثلاثة الا عن طريق الاماح والتصوير الابهائي المعبر ، وهو بوجه الانظر الى حادثة اخطر واكثر مصيرية وهي حادثة الهرب وما يكتنفها من مخاطر وما تشكله من انقطاع بين الفلسطيني وارضه مما يؤدي به الى السوت والدمار المحتمين ، ويساعد توالي الصور والاحداث على خلق التوتر الذي يوحى بتوقع حدث مفاجئ وفاجع ، فكان كل كلمة وكل لفظة في حياة الابطال تجعل القارئ يتخيلهم بانهم واقفون على شفير الهاوية ، وتأتي الختمة لتذكرنا بمأساة وجودنا القومي .

ويقول احسان عباس : « ان قيام القصة على ميتين خارجي وداخلي يمنح القصة عمقا خاصا ويجعلها مليئة بالابعاد قابلة للفروض والاحتمالات وبقوة الرمز وتجدد ضروب التفسير تحتفظ القصة بالديمومة وتتجدد منها الطاقات رغم تغير الظروف . » (١٥)

٣ - استخدم الكاتب الرمز الوحي المكثف سبيلا للخروج من التجربة الفردية الجزئية الى المعاناة الشاملة الكلية ، واذا اردنا ترصد المبتنى الرمزي في « رجال في الشمس » نخرج بالملاحظات التالية :

ا (ابو الخيزران هو رمز للقيادات الفلسطينية التي فضحت الهزائم المتتالية عجزها عن قيادة ثورة الشعب وتحقيق العودة .

ب (يرمز صهرج السيارة الذي مات في داخله الابطال اختناقا الى نوع الحياة التي يحيها ابناء فلسطين بعد النكبة ، حياة مظلمة يظللها الخوف ويجرفها الضياع ، والاستسلام لها لا بد ان تكون نهايته الفناء والدمار .

ج (المهربون البصراويون يمثلون القيادات العربية المتواطئة على سحق الوجود الفلسطيني واخضاعه لسيطرتها .

د (الصحراء هي القبر الكبير والجحيم الذي يتلصق كل الهاربين من مواجهة مصيرهم على ارض وطنهم .

يعرض لنا كنفاني هذا كله في مزاجية رائعة بين دقة الواقع الحسي والابعاء الباطني والتاثير الخفي غير الملموس الذي يشيع فينا كل مشاعر اليأس والكتابة المفجوعة وعيشة القدر والحياة ، هكذا استطاع كنفاني من خلال رموز شخصه ان يطرق ازمة الوجود الكبرى فما العالم سوى عربة موت جحيمية تسيير بالانسان بشكل لا ارادي الى نهايته الاليمة ، من هنا استطاع الكاتب ان يخرج من التجربة الجزئية الى المعاناة الانسانية الكاملة لعنى الوجود .

يقول علي الجندي في معرض الكلام على رواية كنفاني :

« رجال في الشمس » محاولة جديدة واكثر من ناجحة في تاريخ

(١٥) احسان عباس : المبنى الرمزي في قصص غسان - الآثار الكاملة ، المجلد الاول ص ١٤ .

الرواية العربية وخاصة الملتزمة قوميا فانها عرضت لنا وربما للمرة الاولى قصة الارض السلية بأسلوب بارع وطريقة جديدة ليس فيها روح الافتعال والحبايدة بل فيها كل المأساة بقسوتها ومرارتها تنبض في كل جملة وحرف ، لتسقط معايير النقد امام فسودان الحياة » . (١٦)

في « رجال في الشمس » اثبت كنفاني مرة اخرى اهمية التلازم بين الفن وقضية الانسان ، ومدى قدرة الفنان في تسخير فنه لخدمة الشعب مع الاحتفاظ بعنصر الانارة الفنية والابداع الجمالي . في « ما تبقى لكم » يبرز لنا العمل الفني الواعي لفسان كنفاني الذي اخذ ينحو منحى التعقيد الفني المتأني بالدرجة الاولى من التعقيد في الرؤية والتجربة الميشية ، ويمتد القصاص منهج العلاقات المتداخلة كما تتداخل الشخصيات فيما بينها عبر تنامي تيار الوعي فيها ، حتى اللغة تكتسب ابعادا جديدة لكي تلي متطلبات الواقع المتوتر المعقد وتؤمن بالتالي الانتقال من رؤية الى اخرى عبر مجموعة من العلاقات الشبكية الشديدة التعقيد ، حيث يتداخل الزمن الماضي مع الحاضر والمستقبل بشكل عميق ويأتي هذا كله ليكشف الرؤية القصصية التي ي طرحها الكاتب من زاويته العادة . ويعترف كنفاني في توضيح للقصة بظاهرة التعقيد الجديدة التي ظهرت في روايته فيقول : « ان الصعوبة في ملاحقة عالم مختلط بهذا الشكل هي صعوبة معترف بها ولكن لا مناص منها ايضا اذا كان لا بد ان تقول الرواية ما اعترفت قوله دفعة واحدة . ونستطيع ان نجعل هذه الرواية بالملاحظات التالية :

١ - يتأثر كنفاني في قصته بمنهج فوكنر تأثرا كبيرا لا سيما في هذا التشديد على الدواعي الداخلية لدى الابطال التي نفصح صور الفلق النفسي الشديد التوتر .

٢ - القصة تبدأ من حدث معين يعتبر في حد ذاته ذروة فسي السياق القصصي (هرب حامد من عار اخته بلجونه الى الصحراء بحثا عن موطن الام التي ترمز الى الوطن) ولكنها لا تلبث ان تتأزم بشكل متوتر حتى تأتي النهاية فتحدث تلك الطفرة المعبرة في سلوك الابطال المؤذنة بميلاد الرفض والتمرد الفلسطيني على السائل والاستسلام .

٣ - يتحرك الزمن في اتجاهين اثنين : اتجاه الخلط بين الحاضر والماضي والمستقبل ، والزمن المتحرك ، الذي يجسد مرور الزمن العادي والذي يتجسد بدقات الساعة على الجدار .

٤ - تجمع وحدة المماناة ما بين ابطال الرواية بالرغم من اختلاف الحيز المكاني او الاطار الخارجي الذي يعيشه كل منهم ، ويوحد بينها هذا الايقاع الذي يتردد بدقات الساعة الخشبية المعلقة على الجدار في غرفة مريم فهي تدق في عصبها وجدانها لتكشف ضياعها وتمزقها ، والجينين الذي يدق يعبر عن مأساة باتت لا تطيق التكم والتستر ، وكذلك خطوات حامد كانت تدق صدر الصحراء باصرار وتحد عجيبين ، هذا الايقاع الموحد الذي يشبع في كل اركان القصة ليضفي عليها هذه الشحنات من التوتر الدامي الذي ارتفع بعمل كنفاني الى الابداع الفني .

٥ - يضاف الى هذا كله تلك الدقة في رسم الاختلاجات الشعورية الدقيقة وظهور التحليل العميق لكواامن النفس الانسانية يساعد على اظهار هذا كله قوة بيانية في رسم الصور وايراد التعبير المؤثر الوجد .

ونستطيع في النهاية ان نوجز حكمنا على عمل كنفاني بالقول : « ما تبقى لكم » تمثل تجرد النفس الفلسطينية من كل السلبات الثقيلة

(١٦) علي الجندي : مجلة حوار عدد ٣ نيسان ١٩٦٣ .

التي كانت تزح تحتها ، هي صلة جديدة بالواقع والارض تلمس الادارة العازمة وان كانت الولادة بطيئة عسيرة . وهي نظرة وداع غير آسفة نحو ماض يتوارى ويغيب » . (١٧)

في « عائد الى حيفا » يسلك غسان كنفاني طريقا مقيرا للطرق الفنية التي سبق له ان سلكها في اعماله الاخرى فهو لا يتوجه الى الرمز الشفاف الذي عرفناه في « رجال في الشمس » ، ولا يتوجه الى التركيب المعقد الذي عرفناه في « ما تبقى لكم » وانما ينحو نحو البساطة التي تقترب من تخوم الرواية التقليدية .

والقصة تبدأ كغيرها من موقف يفجر كل تناقضات النفس وحذاياها المختلفة . انها عودة « سعيد س » وزوجته من جديد الى حيفا بعد سني الفراق الجبرية وما يمكن ان تجره هذه العودة من عذاب ولواعج وذكريات وحنين .

تندرج رواية « عائد الى حيفا » ضمن الرواية التحليلية الكلاسيكية البسيطة ، حيث لا تشكل القصة سوى اطار عام يحاول المؤلف من خلاله ان يعكس مجمل افكاره ومواقفه الشخصية ، ولكن السلسلة في السرد والطبيعة في الاخبار والنقص الى جانب التحليل الدقيق للشخصيات وسبر المشاعر والاحاسيس الانسانية المختلفة من ذكرى وشوق وذل وعار ونقص - هذا الوصف الدقيق لعناصر القصة من بيئة وزمان واشخاص ، جعل من القصة كتلة حية نابضة ، وجعل الجزء الاول من الرواية يتمتع بدرجة كبيرة من الصدق والبراعة في التصوير اللذين دفعاه الى مرتبة عليا من الخلق الفني .

اما الجزء الثاني من الرواية فيعتبر اضافة نظرية لم تخدم الجوهر القصصي بقدر ما خدمت فكر غسان والتزامه وموقفه من القضايا فهي تكاد تكون محاوراة نظرية يراد من خلالها لفتح النظر الى مواطن الضعف والداء في النفس العربية .

ولقد جعل كنفاني من الحدث والشخص مجرد رموز في خدمة الرؤية الفنية المطروحة وجاء هذا على حساب مهمات الرواية الاولى . وهذا ما اضفى عليها طابع المباشرة الفنية فجعلها تقريرية ، يخفي منها هذا الحس بالتوتر والتوقع ، فالنتيجة منطقية يصل اليها القارئ عبر رؤية موضوعية للاحداث .

من اجل الفكرة ضحى الكاتب ببعض القيم الفنية فوفعت بعض المغارقات التي قد لا تقبل بصورة مباشرة مثل :

- الزوجة تارة لا تفهم الانكليزية وتارة تفهمها .

- مصادفة استحواذ منزل البطيلين من قبل مهاجر يهودي وزوجة عاقر مما سهل عملية التنبئ للطفل .

- قيام موازنة بين معادلة قتل طفل فلسطيني ومعادلة قتل شقيق مريم على ايدي الفاشيين الالمان شيء مستهلك ومكشوف ولا يحمل كسفا او مضمونا جديدا .

وبالرغم من هذه السقطات فنحن لا ننكر اصالة عمل كنفاني ، فهو يحمل بين طياته بلور رواية ذات نفس طويل ولكن السرعة في عرضها جعلتها تقع في المباشرة التقريرية الفكرية .

مع « ام سعد » يبلغ الواقع مع كنفاني حد الاكتناز والاكتمال ، وهو الذي شهد ميلاد الثورة المقاومة التي كانت المنبع الاصيل لعمل غسان المذكور .

هنا يتنفي الرمز ويترك الكلام للحقيقة المحركة الباعثة للامل التي تشع في كل فرد من افراد القصة .

مع « ام سعد » نحن وجها لوجه امام الحكمة الشعبية البسيطة التي ترسم على شفاه « ام سعد » الشعب والامة . فليس للقصة من حبكة رئيسية وانما هي تنامي الحياة الفلسطينية في المخيمات

(١٧) احسان عباس : المصدر نفسه .

ورسم خط الوعي فيها في فترة تعتبر من اكثر الفترات خطورة واهمية في حياة الامة وعلى صعيد مستقبلها . هذا التنامي نلمسه عبر الصور التالية :

« ام سعد » تبدو يائسة في البداية ، ولا تخرج الى فضاء الامل الا من خلال التزام سعد ورفقائه مهمة النضال الثوري المسلح .
- حياة المخيمات تحولت من الاستسلام والرزوح تحت وطأة البؤس والظلام الى حياة متمردة تلعلع فيها اصوات البنادق التي وحدها سوف ترسم طريق العودة .

- انعكست هذه التحولات على العلاقات الانسانية بين سكان المخيم : « فجأة تغير كل شيء . كف ابو سعد عن الذهاب الى المقهى وصار حديثه لام سعد اكثر ليونة ، بل انه ذلك الصباح سالها ان كانت ما تزال تنعب ، وابسبم طويلا حين رمفته متسائلة عن السبب فقد كان يأتي دائما منها ، ويطلب طعامه بسؤال فظ ويكاد ينام وهو يعلك لقمته الاخيرة » .

هكذا تشكل « ام سعد » اخطر وثيقة فنية تحمل صورة تلك الطفرة التي نقلت الشعب الفلسطيني من دائرة اللد والخنوع والنعكسات المتتالية الى دنيا الثورة والتمرد والارادة المخلصة في بناء مستقبل جديد مشرق للامة واعادة الاعتبار للذات الفلسطينية الممزقة .

وفي ختام هذا البحث نستطيع ان نورد بعض الملاحظات العامة حول الفنية المتطورة لهذه الرواية التي تناولت قضية فلسطين ما بعد حزيران بالنقاط التالية :

١ - قامت الرواية العربية بعد نكسة حزيران بصياغة تطلعات الوجدان العربي ، فبعضهم صاغها سلبا وبعضهم صاغها ايجابا واخرون وقفوا بين بين ، ولقد مثلت هذه الرواية الوثيقة الفنية الاولى لخطر مراحل تاريخنا .

٢ - تميزت هذه الرواية بالكثافة الشعرية التي تنبثق من الاختبار الحساس لجزيئات الواقع الملموس والارتفاع بها الى مستوى الرمز .

٣ - الحدث في الرواية ليس الواقعة المتطورة طويلا مع الزمن التاريخي وانما هو الموقف المتجذر في اعماق حياة الابطال والذي

يفجر تناقضاتها وتمزقها ، فالاطار العام هو النكسة ولكن الجديد ينبع من موافف الاشخاص تجاهه .

٤ - الرؤية الغالبة على هذا النتاج هي رؤية المثقفين او على وجه التحديد رؤية المثقف البرجوازي الصغير سواء اكان متقوفا على ذاته ام مناضلا ثوريا ملتزما .

٥ - يشكل هذا النتاج ظاهرة روائية جديدة تلازمت داخلها عناصر التجديد في الفن ، هذا التلازم الذي يدفع الفن القصصي الى الامام ويؤدي الى قيام رواية عربية جديدة .

ونستطيع القول ان كنفاني تفاعل مع الواقع والرؤية الثورية فتائر بها واثر عليها .

وفي ختام هذا الحديث عن تقنية الرواية التي تناولت قضية فلسطين ، ينبغي ان نوضح ان البحث كان قاصرا على نماذج روائية معينة دون التفات واف الى القصص القصيرة التي تشكل تيارا مهما يكاد يخط له فنا قائما بذاته يقوم على تقنية معينة ، لا سيما ان هذه القصص القصيرة اخذت تستوحي الحرب الاخيرة ، وتأخذ من معانيها مضامين جديدة لها ، فتكشف لنا عن افق الروح الجديدة التي بدأت تهيم على الوضع العربي وتنعكس على حياة الفلسطيني بوجه خاص ، هذه الروح الجديدة التي ولدت رؤية فنية جديدة ، فهي شيء من الارتداد الى دنيا الرمز وذكريات النكبة الاولى . ونلمح هذه السمات خاصة في القصص القصيرة التي تنشر على صفحات المجلات ونستطيع ان نأخذ مثلا عليها قصة محمود الرماوي « الرصاصه الرابعة » (١) التي فيها يحاول ان يعري الحرب الاخيرة ، وان يشير الى انها ، وان حملت حلولا معينة على الصعيد العربي ، فهي لم تحمل شيئا جديدا على الصعيد الفلسطيني ، وانما هي عمقت الهوة بينه وبين الآخرين ، كل ذلك في اطار من السرد تمازجه الذكريات وصور الحلم ، حيث تتداخل عوالم من اللاوعي لتسهم في رسم صورة تنبؤية لا سيكون عليه واقع الفلسطيني فيما بعد .

بيروت

(١٨) نشرت في الاداب العدد السادس حزيران ١٩٧٤ .

دار الاداب تقدم

سليمان فياض

في

زمن الصمت والضباب

مجموعة قصص جديدة

صدرت حديثا